(المورد) بعد يوبيلها الذّهبيّ

رهانُ التّجاوز ومسؤوليّةُ التّنوير

حسين محمّد عجيل(*)

على مدارِ خمسينَ عاماً مضتْ، قدّمتْ مجلّةُ (المورد) التّراثيّةُ المحكّمةُ، مشروعاً عراقيّاً رائداً في دراسةِ التّراث العربيِّ وإحيائه، كان له صدىً واسعٌ وتأثيرٌ عميقٌ في أوساط المشتغلين بهذا التّراثِ بالعالمينِ العربيِّ والإسلاميِّ، وجمهرةِ المستعربينَ والمستشرقينَ. ونجحتِ المجلّةُ بديمومةِ صدورِها منذ سنةِ ١٩٧١ وتواصلِها حتّى الآنَ، برغمِ كلِّ ظروفِ البلادِ وتحوّلاتِها العصيبةِ والتّحدّياتِ التي واجهتها، في الانضمامِ إلى نادٍ جليلٍ يضمُّ كبرى المجلّاتِ العراقيّةِ المتخصّصةِ، سبقتها إليه دوريّاتٌ لا تزالُ تواصلُ صدورَها بانتظامٍ برغمِ عقباتٍ شتّى، وهي: مجلّةُ (سومر) التي برزتْ أوّلَ مرّةٍ سنة ١٩٤٥، و(مجلّةُ المجمعِ العلميِّ العراقيِّ) الصّادرُ عددُها الأوّلُ سنة ١٩٥٠، ومجلّةُ (التّراث الشّعبيّ) التي ظهرتْ سنة ١٩٦٣، ومجلّةُ (الأقلام) الصّادرةُ سنة ١٩٦٤.

(*) باحث من العراق.

إنّ اســتمرارَ عطــاءِ (المــورد) وشــقيقاتِها الأربعِ الكــبرى كلَّ هذه الأعوامِ المديــدةِ، وإنْ كانَ بينَ مدٍّ وجزرٍ أحياناً، لَيُشــكّلُ ظاهرةً فريــدةً وصِحّيّةً في تاريخ الصّحافــةِ العراقيّةِ المتخصّصةِ، التي كثيراً ما كانت تنفرطُ مشــاريعُها المهمّةُ في بضعِ سنينَ إن لــم يكنْ في بضعةِ أشــهرٍ، لكــنَّ الذي حال بين معظــمِ هذه المجــلّاتِ ومصيرِ الوأدِ الــذي طالَ ما تربّــصَ برصيفاتِها، هو صدورها عن مؤسّســاتٍ رســميّةٍ تحظى بتمويلٍ منتظَمٍ من الموازنةِ العامّةِ للدولــةِ، وتوفّرُها عــلى هيئاتِ تحريــرٍ عملت، بل كافحــت، في كلِّ الظّروفِ عــلى ديمومتِها؛ لِما رأتْ من حُسن تلقّيها في الخافقين[1].

ولأنّ المشاريعَ الكبيرةَ لا تأتي من العدمِ، بل هي بذورٌ تظلّ تتخصّبُ في العقولِ ببطءٍ قبلَ بزوغِها، أجدني أميلُ إلى عدِّ صدورِ (المورد) اســتكمالاً على نحوٍ ما لحياةِ مجلّةٍ بغداديّةٍ رائدةٍ عطّلتها الحربُ الكونيّةُ الأولى اثني عشرَ حــولاً، وأوقفتها إلى الأبدِ أزمةُ الكســادِ التي ضربتِ الاقتصادَ العالميَّ نهايةَ العشرينيّات ومطلعَ الثّلاثينيّاتِ من القرنِ الماضي، فوُئدتْ وهي في الذّروةِ من عطائِها، أعني بها مجلّةَ (لغة العرب) التي أنشأها وحرّرَ مجلّداتِها التّسعَ؛ الأبُ العلّامةُ أنســتاس ماري الكرمليّ، في عهديها: الأوّلِ بــينَ ســنة (١٩١١ و١٩١٤م)، والثّاني بينَ سنة (١٩٢٦ و١٩٣١م).

كانــت (لغةُ العــرب) المجلّةَ الأعــرقَ في تاريخِ صحافةِ البلادِ وثقافتِها، وهــي تُمثّلُ تجربةً ثريّةً تســتحقّ الوقوف عندها طويلاً ودراســتها، لأنّها كانــت في مطالــعِ نهضةِ العراقِ الحديث، ســفيرةَ البلادِ الوحيدةَ في المحيطِ العربيّ والإسلاميّ، ولدى نخبةِ المستشرقينَ في أوربا المهتمّةِ بالعربِ ولغتِهم وتاريخِهم وتراثِهم، ولأنّ مجلّداتِها التّسعَ لا تزالُ تشــكّلُ مرجعاً لا غنىً عنه لدراسةِ الأدبِ والثّقافةِ والتّاريخِ العراقــيِّ القديمِ والإســلاميِّ والحديثِ، وأشــتاتٍ من تاريــخِ محيطِه العربيِّ والإســلاميّ المجاورِ، فضلاً عمّا احتوته من مباحثَ تتناولُ اللّغةَ العربيّةَ وتطوّرَ صياغةِ مصطلحاتِها، والتّصويبَ اللّغويّ، والتّعريــفَ بالمخطوطاتِ النّادرةِ والكتبِ التّراثيّةِ والأدبيّةِ المطبوعةِ ، ودراساتٍ تعالجُ شؤونَ التّراثِ الشّــعبيّ، وخصائــصَ العاميّــةِ العراقيّةِ، والآثارَ والتّراجمَ وتاريخَ المــدنِ المندثرةِ والحاليّةِ، والتّعريــفَ بالكتبِ والدّورياتِ الجديدةِ، الصّادرةِ حديثاً في العــراقِ ومحيطِه، ونقدَها أو تقريظَها.. ولأنّهــا أيضاً المدرســةُ التي تخرّجــتْ فيها كوكبةٌ من كبارِ الأدباءِ والكتّــابِ والمؤرّخين والصّحفيّينَ العراقيّينَ، معظمهم كانوا شــباباً وأخــذَ الكرمليُّ بأيديْهــم، ولنا أن نذكرَ قائمةً تطولُ من الأســماءِ البــارزةِ كانَ للكرمــليِّ دورٌ مبكّــرٌ في حثّهــم على الكتابة وترصين قاعدتهم المعرفيةِ، ومنهم: كاظمُ الدّجيلي، والدّكتور مصطفى جواد، ويعقوب نعّوم سركيس، والأخوان الشّبيبيّان: محمّد رضا ومحمّد باقــر، وعبــدُ الرّزّاق الحســنيّ، وروفائيــل بطّي، وعباسُ العــزّاويّ، وعلي الشّرقي، وإبراهيمُ حلمي العمر، ، وأحمد حامد الصّرّاف.

وبرغــمِ المدى الزّمنيّ الطّويــلِ الذي بلغَ أربعةَ عقــودٍ كاملةٍ بين وأد الأولى وانبعاثــةِ الثّانيةِ، فقد اســتأنفتِ (المــوردُ) فيمــا أرى- بشيءٍ غــيرِ قليلٍ من التّوسّــعِ والتّحديثِ وسَــعةِ التّوزيــعِ وانتظامِ الصّــدور والانفتــاحِ عــلى ســائر التّخصّصــات

(١) وشــذّتْ عن هذا الوصفِ، وطالها الوأدُ- من أسَــفٍ- مجلّــةُ (المعلّــم الجديــد) الصّــادرةُ ســنة ١٩٣٥، ولو أنّ الجهةَ الرّســميّةَ المنوطَ بها إصدارُ هــذه الدّوريّةِ العريقةِ واصلتْ هــذا المشروعَ، لكانتِ الآنَ عميدةَ المجلّاتِ العراقيّةِ المتخصّصةِ، والشّقيقةَ الكبرى لهنّ.

الأكاديميّة- ذلك المشروعَ العراقيَّ الرّياديَّ الذي شارك في مؤازرته وتمكينه أبرزُ الشّخصيّاتِ الثّقافيّةِ من رعيلِ النّهضةِ في العراقِ الحديثِ، وليس غريباً في هذا الإطارِ أن يكون عبدُ الحميد العلوجيّ مؤسّسُ (المورِدِ) الحقيقيُّ ورئيس تحريرِها الأشهرُ(١٩٢٤-١٩٩٥م)، هو نفسُه أحدَ محقّقي القسمينِ المنشورينِ حتّى الآنَ من معجم «المساعد» أبرزِ نتاجاتِ مؤسّسِ مجلّة (لغة العرب) غيرِ المكتملِ النّشرِ حتّى الآن. ولعلّ همّةَ السّيّدِ وزيرِ الثّقافةِ، الذي يرعى هذا الحفلَ ويشاركُ فيه، تبعثُ الحياةَ في هذا المشروعِ المهمّ، وتضعه في دائرة اهتمام الوزارة مجدّداً، لاستئنافِ نشر الأجزاءِ المتبقيّةِ من معجمِ «المساعد»، بعد أن كانت ابتدأتْ نشرَه محقّقاً في مطلع سبعينيّات القرن الماضي، ثمّ توقّفَ المشروعُ- من أسفٍ- عقوداً.

بل لعلّ من الإنصافِ لذاكم الكرمليِّ الرّائدِ في دراسةِ اللّغةِ العربيّة، وتيسيرِها، ونحتِ مصطلحاتِها، والدّفاعِ عنها في أحلكِ أيّامِها، والاستدراكِ على معجماتِها، وتتبّعِ غلطاتِ المنشئينَ بها، والمشتغلِ في حقولِ التّراثِ العربيِّ المختلفةِ، والمنصرفِ إلى دراسةِ نوادرِ المخطوطاتِ وتحقيقِها والكشفِ عن مُعمّياتِها وما طمسته القرونُ من أسماءِ مؤلّفيها، والعاكفِ على جمعِ شواردِ التّراثِ الشّعبيِّ وتوثيقِ مأثوراتِ العراقيّينَ في بيئاتِهم المختلفةِ وتأصيلِ ألفاظِهم العاميّةِ، والمواظبِ على التّرجمةِ من العربيّةِ وإليها من بضعِ لغاتٍ غربيّةٍ وشرقيّةٍ يُحسنها، والمتواصلِ كتابيّاً مع عددٍ هائلٍ من أكابرِ أدباءِ العربيّةِ وكبارِ المستعربينَ والمستشرقينَ في العالم، والمعتكفِ على إغناءِ المشهدِ الأدبيِّ، في الكتابةِ عن أعلامِه ونشرِ نتاجِ أدبائِه الشّبابِ، والأخذِ بأيديْهم والتّعريفِ بهم في كلّ محفلٍ، والباحثِ في تاريخِ البلادِ في عصورِها القديمةِ والوسيطةِ والمظلمةِ والمعاصرةِ مؤلّفاً وناقداً ومُراجعاً، والمنقّبِ عن الموروثِ الماديِّ والمندرسِ من أصولِ المدنيّةِ في البلادِ، والكتابةِ عن تاريخِ أمّهاتِ مدنِها في كبرى الدّوريّاتِ العراقيّةِ والعربيّةِ والعالميّةِ باسمِه الصّريحِ أو باسماءٍ مستعارةٍ.. أقولُ لعلّ من الإنصافِ لذاكم الرائدِ الكبيرِ الإشارةَ إلى أنّ مجلّتَه (لغة العرب) كانتِ النّواةَ المُخصِّبةَ التي خرجَ من معطفِها أيضاً مشروعُ مجلّةِ (التّراث الشّعبيّ) وربّما (الأقلام) اللّتينِ كان الرُاحلُ العلوجيّ أيضاً من مؤسّسيْهما، إذ شغلَ منصبَ مديرِ التّحريرِ في الأولى منذُ عددِها الأوّلِ، كما كانَ من كبارِ مُحرّري مجلّةِ (الأقلام) وسكرتيرَ تحريرٍ لها في أوائل سِنيّ صدورِها قبلَ تفرّغِهِ التّامِّ لـ (المورد) رئيساً للتّحرير. فكانَ العلوجيُّ نعمَ السّليلِ لذاكم الرّائدِ الكبيرِ، كما كانَ العلوجيُّ القاسمَ المشتركَ الأعظمَ والأكثرَ انتاجاً في هذا الثّالوث الإبداعيّ من أعرقِ الدّوريّاتِ التي تفخرُ اليومَ بإصدارِها دارُ الشّؤونِ الثّقافيّةِ العامّةِ، وتحملُ عبءَ مواصلةِ الأداءِ المشرّفِ اللّائق بسمعةِ العراقِ لكلٍّ منها، وأقولُ (عبئاً) هنا؛ لأنَّ للعراقةِ تبعاتٍ جمّةً ومسؤوليّاتٍ ضخمةً ينوءُ بها حاملُها المدركُ جسامةَ ما عليه النّهوضُ به.

ولعلّ العلّامةَ الدّكتور مصطفى جَوَاد، واحدٌ من بينِ أبرزِ حلقاتِ الوَصْلِ الرّابطةِ بين مشروعِ (لغة العرب) وفكرةِ إصدارِ (المورد) وشقيقتِها (التّراث الشّعبيّ) وربّما (الأقلام) أيضاً، فلقد كان من بين أنجب مريدي الكرمليّ وأقرب أصدقائه إليه، وهو أيضاً من أبرزِ كُتّاب مجلّتِه وأكثرِ محرّريها نشراً واجتهاداً في عهد صدورها الثّاني، حتّى أنّ عددَ مقالاتِه في مجلّداتِ المجلّةِ التّسعِ لا يَربو عليه إلّا عددُ مقالاتِ صاحبِها.

والدّكتـور مصطفـى جـواد هـو نفسُـه من المُلهمين لمؤسّـسي (التّراث الشّـعبيّ) والمسـهمينَ في صدورِهـا ومـن كبـارِ المؤازريـنَ لهـا بنتـاجِ أقلامِهـم، فكتبَ بحوثـاً قيّمةً خصّ بهـا أعدادَها الأولى. وكان صاحـبُ امتيازِ المجلّةِ شـاكر صابر الضّابط، ورئيـسُ تحريرِها إبراهيمُ الدّاقوقي من بين مريديه، ويعدّان نفسـيهما مـن تلامذتِه غير المباشرين.

وهـو- أعنـي الدّكتـور مصطفى جَـوَاد- مَن كانـتْ مقالتُه في صدارةِ العددِ الأوّلِ من (الأقلام)، وعلى الرّغم من وفاته قبل صدور (المورد) بعامين، ضمَّ مجلّدُها الأوّلُ- بِعَدَدَيْـهِ المزدوجينِ- مادّتين له[٢]، وتفصيلُ ذلكم أنّ العلوجيّ مؤسِّسَ (المورد) الفعليّ، كان سـكرتيرَ تحريرِ (الأقلام) حين تلقّى سـنة ١٩٦٩ المادّتينِ من الدّكتور مصطفى جواد، ولأنّـه كان من بين المَنوطِ بهـم التّخطيطُ لإصدار (المـورد)، ادّخرَ صحائفَ العلّامـةِ الجليلِ لتكون واسطةَ العِقْدِ في جِيْدِ مجلّتِه الوليدةِ.

لقد كانَ من حسـنِ حظّ هذه المجلّةِ أن يتفرّغ لها منذ ما قبلَ مراحلَ التّأسـيسِ باحثٌ موسوعيّ عراقيٌّ كبـيرٌ بقامةِ عبـد الحميـد العلوجيّ الذي اقترنتِ المجلّةُ إلى الآن باسـمِه، واقترن اسمُه حتى اليوم بـ (المورد)، فقد عدّها مشروعَ حياتِه. ومثلما اقترنَ الاسمان معاً في ذاكرةِ مُحبّي المجلّة وقرّائِها في العـراق والعالم العربيّ، اقترنـتْ ذكرى رحيلِه السّادسـةُ والعشرونَ التي صادفـت أمس الأحد، بذكـرى الاحتفالِ باليوبيلِ الذّهبـيِّ لمجلّته الأثيرة هذا اليوم. وبيننا في هذه القاعةِ الآنَ سبطُ المرحومِ العلوجـيّ: الدّكتور رفل أثير أحمد مطلوب، ممثّلاً عـن عائلتـهِ الكريمةِ، وهـو أيضاً حفيـدُ المرحومِ الدّكتـور أحمـد مطلوب رئيـس المجمـع العلميّ العراقيّ الأسـبق، وبذلك يرفـلُ ضيفنُا بالمجدِ من طرفيه.

لسـتُ هنا في مقـامِ تقريـظِ (المـورد) والثّناءِ عليهـا بما تسـتحقّه مسـيرةُ نصفِ قـرنٍ حافلةٌ بالمنجـزّ النّوعـيّ، فقـد سـمعنا جميعاً مـا يُسِرُّ ويُبهِجُ من الأسـاتذةِ الأفاضلِ والأعلامِ المؤازرينَ، الذين سَـعَدْنا بحضورِهم هنا لإحياء ذكرى يوبيلِ (المورد) الذّهبيّ، ولا سـيما ممّن شـهدوا انطلاقة عددِها الأوّلِ سنة ١٩٧١ وأسهموا فيه: أعني بهما الأستاذينِ الجليلينِ الدّكتور محيي هلال السّرحان والدّكتـور طه محسـن، ومَن واكبـوا عطاءَها من بعد ذلك في أعوامِ توهّجِها وبعضِ سِـنيّ خفوتِها القاهـرةِ. ولأنّنـي مـن أعضـاءِ هيئـةِ تحريرِهـا وشـغلتُ منصبَ مديـرِ التّحرير فيها طـوالَ عامٍ ونيّفٍ، فإنّ الأولى والأليقَ بي أن أعمدَ إلى النّظرِ في شؤونِ حاضرِها ومستقبلِها، وما ينبغي في نظري أن يفعلَ القائمونَ عليها- إدارةً وتحريراً- لتكون بمسـتوى ما يُعقد عليها من رهـانِ التّجاوزِ، وما يُنتظر منها في الكشفِ عن منابعِ التّنوير في تراثِنا، مُبدياً في الأثناءِ ما أراه من اقتراحاتٍ للنّهوض بهذه المجلّـة، ومُشـيراً إلى ما قد يراودني مـن مُتمنّياتٍ وأحلامٍ، فأقـول: إنّ متلازمةً من الفصلِ القسريِّ، النّاتجِ عن غُلالةٍ من سـوءِ الفَهْم، المؤدّي إلى تراكمَ حالةٍ مـن القطيعةِ بين سـواد المثقّفينَ وفضاءاتِ التّراثِ العربـيِّ القديمِ، هي أكـبرُ التّحدّياتِ التي

(٢) أولاهمـا «عَـيْنٌ أخرى على العَيْن»، المنشـورةُ في العدد المـزدوج (الأوّل والثّانـي) مـن المجلّـد الأوّل (١٩٧١): ص١٩٨-٢٠٦. وثانيهمـا «تاريـخُ الخزرجـيّ وتاريـخُ القُضاعيّ» المنشـورةُ في العدد المـزدوج (الثّالث والرّابع) من المجلّد الأوّل (١٩٧٢):ص٢١٩-٢٢١.

تواجه انتشـار هذه المجلّةَ ونظيراتِها المشـتغلات في التّراث، لأداءِ رسالتِها وتحقيقِ غاياتِها المعرفيّةِ في أوسعِ الأوسـاط، من جمهرةِ المثقّفينَ على تنوّعِ اختصاصاتِهم واهتماماتِهم، وسـائرِ المشتغلينَ في مجالاتِ الفكرِ والآدابِ والفنونِ، إلى الحاصلينَ على قسطٍ كافٍ من التّعليم العامّ. وهذه قضيّةٌ شائكةٌ عانى منهـا- فضلاً عن العـراقِ والعالمِ العربيّ- معظـمُ الأممِ الشّرقيّةِ، نتجتْ أوّلَ الأمرِ عن صدمةِ الاتصالِ القاسـيةِ بتفوّقٍ غربيٍّ كاسـحٍ في مطالعِ العصورِ الحديثةِ، وضخّمتها نفسـيّاً انكسـاراتُ هذه الأمـمِ تجاهَه عسـكريّاً واقتصاديّـاً وثقافيّاً وعلميّـاً، قبـل أن تسـتردّ بعض أنفاسِـها لتواجه تحدّيـاتٍ مصيريّـةً غيرَ مسـبوقةٍ في تاريخها، ثمّ تفاعلـتْ ظروفٌ متعدّدةٌ لاسـتمرارِ هذه القطعيةِ وترسـيخِها على أشكالٍ مختلفةٍ في الأذهان، ولسنا في هـذا المقام الاحتفائـيّ بصددِ التّفسـيرِ المعمّق للأسـبابِ التي نجمتْ عنها هذه الظّاهرةُ وتحليلِ نتائجِها، بقدرِ ما يعنينا الوقوفُ على خطورةِ هذه النّتائجِ على أجيـالٍ حاليّةٍ وقادمـةٍ، توارثتْ أزمةَ قطيعتِها مـع جذورِها الحضاريّـةِ، وهي قطيعةٌ عَدَمِيّـةٌ لأنّها تتـمّ مع مجهـول، ولذلكم فهي غيرُ متكاملـةِ الأركان، فـلا يُنتَظر منها أن تُسـفِرُ عن شيءٍ. لقـد كان للجهد الأكاديميّ دورٌ في التّخفيف من ذلكم الفصـلِ وهذه القطيعةِ مدّةً من الزّمان، قبـل أن ينحـسر هـذا الـدّور تدريجيّـاً، بانزواءِ المؤسّسـةِ الجامعيّةِ هي الأخرى شيئاً فشيئاً خلفَ أسـوارِها، لأسـبابٍ ذاتيّـةٍ وموضوعيّـةٍ ليس هذا محلُّ تفصيلِها.

وأرى أنّ مـن واجبِ القائمينَ على هذه المجلّةِ- وأنا منهم- محاولةَ الإسـهامِ في فكِّ هذه المتلازمةِ، بمدّ جسـورٍ تُسـهمُ في ردمِ شيءٍ من فجوةٍ عميقةٍ أخـشى القـولَ أنّهـا في اتّسـاعٍ. ولأجـل مـدّ هذه الجسور، للتّواصلِ بين المجلّة ونخبٍ من المثقّفين، والانفتـاحِ على عمومِ المشـتغلينَ في مجالاتِ الفكر والآدابِ والفنـونِ المختلفـةِ، من واجـبِ المجلّةِ أن تجترحَ موضوعـاتٍ ذاتَ صلةٍ بهذه الاشـتغالات، على أن تكون قضايا التّراثُ هي البؤرةُ التي تنشدُّ إليها هـذه الموضوعاتُ، وبذلكم تُضفي المجلّةُ على موادِّهـا كثـيراً من الحيويّـةِ بتواصلِهـا مع راهنِ المشـهدِ الثّقـافيِّ مـن دونِ أن تبتعدَ عن مسـارِها وتخـسرَ توجّهاتِها، بـل تجعلُ قضايـا التّراثِ في غمار الحياةِ المعاصرةِ، فتصلُ أعدادُها بسهولةٍ إلى أيـدي بعضٍ من النّخبِ الثّقافيّةِ، كانت تحجم عن تصفّحها وتداولِها واقتنائها.

في ضمـنِ هذا التّوجّه، يمكـن تلمّسُ ما ينبغي أن تركّزَ عليـه المجلّةُ من موضوعاتٍ، وتفتحه من ملفّاتٍ، وتجترحُه من قضايا ومحاورَ لدراسةِ هذا التّراثِ الزّاخـرِ وما اختزنته ملايـينُ المخطوطاتِ التي حفظته. وتأتي في البـؤرةِ من ذلكم التّركيزِ؛ ضرورةُ الإفصاحِ عن الوِجْهةِ الإنسانيّةِ والتّنويريّةِ التي من الواجـبِ أن تنتحيها المجلّةُ دائماً؛ لتكون العـودةُ الدّائمـةُ لتراثنا- جمعاً وفهرسـةً وعَرْضاً وتحقيقـاً ودراسـةً وبحثـاً وكشـفاً وتحليـلاً- استجابةً واعيةً لتحدّياتٍ مصيريّةٍ راهنةٍ، وإطلالةً على قضايـا الحاضرِ الجوهريّةِ، وكوّةً تشـعّ نحو المستقبلِ بقيمِ المعرفةِ الحقّةِ والإيمانِ بقوّةِ الكلمةِ وتأثيرِهـا، لإمدادِ النّسـغِ الثّقافيِّ العـامِّ للنّاطقينَ بالعربيّـة بإكسـيرِ تُراثيٍّ إنسـانيٍّ مُلهِمٍ، سـواءٌ على مسـتوى النّصوصِ أو الدّراسـاتِ التّحليليّةِ؛ فتتواشـجُ هذه المطالبُ بالقدرِ نفسِه مع المطالبِ

الملحّـةِ للحفاظِ على جوهـرِ هذا الـتّراثِ النّفيسِ، وضروراتِ إحيائِـه لفَهـمِ ذاتِنـا بوصفنا شـعباً عريقـاً، وأمّةً- بالمعنى الثّقافيّ في الأقلّ- لها تاريخٌ حضـاريٌّ مؤثّلٌ، والتّعاملِ مـع منتجِه الهائلِ عبرَ العصورِ بـروحٍ علميّةٍ نقديّةٍ لا تقديسـيّةٍ، ولكنْ مـن دونِ الوقـوعِ في فخِّ جَلْـدِ الـذّات، وتوظيفِ هذا التّراثِ- المكتنـزِ بالمعرفةِ والبحثِ عن حقائقِ الأشـياءِ في مراحلِ توهّجِـه وإبداعِـه- إيجابيّاً في تطوّرِ مجتمعِنا ونهضةِ بلادِنا، لا أن يكونَ وسيلةً ارتـدادٍ ظلامـيٍّ، ودعوةً جَهُـوْلاً لتضخيـمِ الذّاتِ والتّعصّبِ والتّطـرّفِ والغُلُوِّ، وانخراطاً في حالاتٍ من النّكوصِ والانعزالِ عن مسيرةِ الحياةِ والتّطوّرِ البـشريّ، كمـا قدّمته تجـاربُ ماضويّـةٌ لا تزالُ تمارسُ الموتَ السّريريّ خارجَ التّاريخ، وإن كانتْ تعيشُ في خِضَمِّ المتغيراتِ المُذهلةِ للعَقْدِ الثّالثِ من الألفيّةِ الثّالثةِ.

ينبغي للمجلّةِ أن تُمثّل هُويّةَ البلادِ الحضاريّةِ الزّاخرة بالتّنـوّع الثّقافيّ، وتطلّعـاتِ نخبِها، وأن تمثّل قيمَ هذا العراقِ الكبيرِ بإسـهامتِه التّاريخيّةِ الاسـتثنائيّةِ، المُلهِـمِ لمحيطِـه وللإنسـانيّةِ في كلّ العصـور، الممتـدةُ جـذورُه عميقـاً في الزّمان، لا توجّهاتٍ شكليّةً لشـخوصِ أنظمةِ الحكمِ المتغيّرةِ وقواها المتنفّذةِ. وينبغي على هيئتِها التّحريريّةِ أنْ تقاومَ الرّغبةَ التي قد تتشكّلُ لدى بعضِ المتّصلينَ بها إداريّاً- حين يكونُ على كرسيِّ وزارةِ الثّقافةِ أو في إدارةِ مؤسّسـةِ دارِ الشّؤونِ الثقافيّةِ العامّةِ مَن لا يُمثّلُ ضميرَ المثقّفينَ ويدافعُ عن جوهرِ الثّقافةِ- في أن تمـارسَ المجلّةُ دوراً دعائيّاً ظاهراً أو مبطّناً لتوجّهاتٍ ذاتِ طابعٍ طائفيٍّ أو عرقيٍّ أو مناطقيٍّ، تتبناها قوى وتياراتٌ سياسيّةٌ أو مجتمعيّةٌ نافذةٌ، أو تروّجَ لشـخوصٍ أو متبنيّاتٍ في هذا الإطار لها أو لجهـاتٍ أخرى ذاتِ سـطوةٍ أو نفـوذٍ معنويٍّ تزلّفاً لها. وأن لا تسـتجيبَ هيئتُها التّحريريّةُ لأيّ حـالاتِ ترغيبٍ أو ترهيبٍ في هذا المجال، مسـتندةً إلى مدوّنـةِ عملٍ ملزمةٍ لهـا وللجهاتِ التي تصدرُ عنها، يُحظَرُ بموجبها نشرُ أيِّ موادَّ تحوي دعواتٍ للكراهيّـةِ أو أفـكاراً متطرّفةً أو تحمـلُ نبرةَ غلوٍّ أو نعرةِ تعصّبٍ عنصريّـةٍ أو طائفيّةٍ، كما تُحظر الدّعايةُ السّياسـيّةُ المباشرةُ والمبطّنةُ، ويُمنعُ نشرُ المـوادِّ المسـتبطنةِ توجّهاتٍ ذاتِ طابـعٍ دعويٍّ في موادّها دينيّاً أو مذهبيّاً أو عرقيّاً. وقد عانت المجلّةُ مـن بعض ذلـك في مراحلَ مـن ماضيهـا، وطفا جانبٌ شِعاريّ لتوجّهات بعض أنظمةِ الحكمِ على بعضِ صفحاتِها وفي نسبةٍ ضئيلةٍ من موادِّها، وفي الرّؤيـةِ التي قد تنطلقُ منها بعضُ كتاباتِها، وهي وإنْ كانـتْ محدودةً جدّاً، إذ لا تسـمحُ بها طبيعةُ المجلّةِ نفسِها إلّا تَمَحُّلاً، تبدو اليومَ لمتصفّحِ بعضِ أعدادِها ومجلّداتهـا، كالقَذَى في العيون، وكانت- فضلاً عـن محـاولات التّزلّف والتّكسّـب التي قد تنطوي عليها- مانعةً من وصولِ المجلّة إلى قرّائِها في بعضِ العواصمِ، لخلافاتٍ وتقاطعاتٍ سياسيّةٍ وعقائديّةٍ شـجرتْ بـين أنظمتها آنـذاك ولا تزال تشـتجر، ما يدفـعُ أجهزةَ الرّقابـة فيها إلى حظرِ دخولِها مؤقّتاً أو دائميّاً.

وبعدُ، فإذا أُريدَ لهذه المجلّةِ أن تكونَ في المقبلِ من الأشـهرِ والأعوامِ، جديـرةً بتاريخِها وعراقتِها ومكانتِها التي صاغتها أجيالٌ من الباحثينَ الكبارِ، فينبغي عـلى دار الشّـؤونِ الثّقافيّـةِ العامّةِ التي تُصدرها، ووزارةِ الثّقافةِ التي تحملُ اسـمَها على غلافِهـا، أن تُوليَاها مزيداً مـن العناية، ويمكنني

بعد تجربةِ عملٍ أكثر من عامٍ في المجلّة، أن أُبدي- فضلاً عمّا تقدّم- جملةَ اقتراحاتٍ أراها جوهريّةً:

١- يصعــبُ تأمــينُ الانتظامِ في صــدورِ أعدادِ هــذه المجلّــةِ، ويتعــذّرُ تحقيــقُ حالــةٍ دائمةٍ من التّطوّرِ الذي تســتحقّه بعــد أن عبرتْ نصفَ قرنٍ من عمرِها، ما لم يكن لها فريقُ عملٍ متعدّدُ المهامّ ومتفرّغٌ تماماً لها على وفق هيكليّةٍ مرسومةٍ ثابتةٍ، يتمتّعُ بمواصفاتٍ حرفيّةٍ عاليةِ المســتوى تحريراً وتدقيقاً وتصميمــاً وإخراجاً. ذلك أنّ تجربةَ عملِ الفريقِ غــيرِ المتفرّغِ أثبتت بالتّجربةِ السّــابقةِ أنّ فيها تفريطاً غيرَ مسوّغٍ بحقّ المجلّةِ في أن تحظى بملاكٍ يضعُهــا في صدارةِ اهتماماتِــه من جانبٍ، وغُبْناً فاحشــاً على أعضاءِ هــذا الفريقِ من جانبٍ آخــر، خصوصــاً إذا كانــوا يدركون قيمــةَ المجلّةِ وجســامةِ المســؤوليّةِ الموكلةِ إليهم، ما يدفعهم إلى بذلِ أقــصى طاقاتِهم وجهودِهم، والتّضحيةِ يوميّاً بأعــزّ أوقاتهــم، وهو مــا يؤثّر على ســيرِ مهامّهم الأكاديميّــةِ والبحثيّــةِ والتزاماتِهــم الشّــخصيّةِ الأخرى، ســواء كانوا يعملون في مؤسّسةٍ عامّةٍ أو خاصّةٍ أو متفرّغينَ للبحث. وتشــهدُ المراحلُ التي كانــت فيها هذه المجلّةُ في أزهــى أيّامِها، أنّ فريقَ عملِها كان تــامَّ التّفرّغِ لها، ويحظــى بامتيازات وبمؤازرةٍ وتمكينٍ حقيقيّين، مكّنتاه من أن يرتقي بالمجلّــة إلى أقصى ما وصلتــه في تاريخِها، وهو ما حاولناه في هــذه الهيئةِ التّحريريّــةِ الحاليّةِ هدفاً سامياً، وبذلنا في سبيله جهوداً استثنائيّةً، زاهدينَ بأيِّ حقوقٍ ضروريّةٍ أو امتيازاتٍ مشروعةٍ.

٢- توفــيرُ الموازنــةِ الماليّــةِ اللّازمــةِ لمنــحِ مكافآتٍ مُجْزيةٍ لكبارِ الباحثينَ العراقيّينَ والعربِ والأجانــبِ، لتتمكّنَ هيئةُ التّحريرِ من اســتكتابهم من دونِ حرجٍ. استعادةً لتقليدٍ سابقٍ سارت عليه المجلّــةُ من قبلُ، وأســوةً بما تفعلــه الآنَ دوريّاتٌ عربيّةٌ مماثلةٌ.

٣- عقدُ جلســةٍ نقاشــيّةٍ بين هيئةِ التّحريرِ وإدارةِ دارِ الشّــؤونِ الثّقافيّة، للنّظرِ في استحداثِ أبــوابٍ جديــدةً للمجلّةِ، بمــا يحافظُ عــلى جوهرِ تبويبهــا الحاليّ المكــوّن من الدّراســاتِ والأبحاثِ والتّرجمــاتِ، تليهــا النّصوصُ المحقّقــةُ، وبعدها الفهــارسُ والببليوغرافيّات، ثمّ العــروضُ والنّقدُ والتّعريفُ، وأخيراً أخبارُ نشرِ كتب التّراثِ العربيِّ، مع إجــراء تفريعاتٍ عليها، وإضافــةِ أبوابٍ ثابتةٍ جديــدةٍ نريدها مؤثّــرةً وجاذبةً في ختــام المجلّة، قصيرةً في حجمِها، ومتنوّعةً وشيّقةً في موضوعاتِها ضمن فضاءاتِ التّراث، تجعلُ هذه المجلّةَ البحثيّةَ منفتحةً على اهتماماتِ نخبِ المثقّفين، مستســاغةً لدى القرّاء من غير الاختصاص من جانبٍ، وتتيحُ للمــادّةِ التّراثيّــةِ أن تصلَ إلى جمهــورٍ متنوّعٍ من عمــومِ المثقّفــينَ والمتعلّمــينَ إلى طلبــةِ الجامعاتِ وســواهم، من الذيــن يفضّلونَ المــوادَّ والمتابعاتِ المتنوّعةَ القصيرةَ عــلى المقالاتِ والأبحاثِ الطّويلةِ، ومــع الزّمنِ وتمكُّنِ هُوايةُ القــراءةِ منهم، تنجذبُ نســبةٌ غــيرُ قليلةٍ مــن هــؤلاءِ للاطّلاعِ على ســائرِ محتويــاتِ المجلّةِ، وبذلك تكــونُ هذه الأبوابُ ذات البُعــد التّراثــيّ جسراً لوصــولِ المجلّــةِ إلى شرائحَ بعيــدةٍ الآن عــن توجّهاتِها، فتكتســبُ المجلّةُ قرّاءً جُــدداً خارجَ ســقفِ توقّعاتِها. وهــذا كلّه يتطلّب تعزيزَ فريقِ العملِ التّحريريّ.

٤- بناءً على ما ورد في النّقطتينِ السّــابقتين، ينبغــي توفــيرُ كلِّ المكنــاتِ التّقنيّــةِ والقــدراتِ البشريّةِ اللّازمةِ، لتكونَ المجلّةُ في حجمٍ كبيرٍ ثابتٍ،

يتناسبُ مع سـمعتِها ومكانتِها وما كانت عليه في أيّـامِ مجدِها، كأن يتراوحُ حجـمُ كلُّ عددٍ منها ما بين الـ ٤٠٠ إلى ٥٠٠ صفحةٍ [=٢٥- ٣١ ملزمةً]، وهـو حجمٌ يمكـنُ لمطابعِ دارِ الشّـؤونِ الثّقافيّةِ، الحاليّـةِ، أن تنجزه بوصفه حدّاً أقصى، أو الاتفاقُ مع مطابعَ خارجيّةٍ في حالِ تجاوزتْ بعضُ الأعدادِ الخاصّةِ المُخطّطِ لإصدارِها هذا الحجمَ.

٥- اسـتحداثُ مركزِ أبحاثٍ مرتبطٍ بالمورد، يُعنى بالدّراساتِ التّراثيّة وإقامة المؤتمراتِ وورشِ العملِ الخاصّةِ بحقولِ التّراث.

٦- تنظيمُ مسـابقةٍ سـنويّةٍ باسـمِ (المورد) تُمنـحُ بموجبِهـا جائـزةٌ لأفضـلِ كتـابٍ تراثـيٍّ محقّـقٍ، ويمكن أن يتـولّى تنظيمَها المركزُ المقترحُ اسـتحداثُه، وجائزةٌ أخرى لأفضـلِ كتابٍ يتناول بالدّراسـةِ الجـادّةِ واحـدةً مـن قضايـا الـتّراث الحيويّـة، وكذلك جائزةٌ لأفضلِ بحثٍ منشـور في مجلّة (المـورد) خلال عامٍ كامـلٍ يمكن أن يُطلق عليها اسـم «جائزة عبد الحميد العلوجيّ»، فضلاً عن مقترح لجائزة تُمنحُ لشـخصيّةٍ علميّةٍ رصينةٍ قدّمـت عطـاءً معرفيّاً مشـهوداً في إغنـاء حقول التّراث العربيّ، يمكن أن يُطلقُ عليها اسم «جائزة أنستاس ماري الكرمليّ».

٧- مضاعفةُ عددِ النّسـخِ المطبوعـةِ من كلِّ عـددٍ، بالتّزامن مع وضـعِ خطّةٍ عمليّةٍ لتنشـيطِ توزيعِ المجلّةِ في بغدادَ والمحافظاتِ، والانفتاحِ على الجامعـاتِ والمراكزِ البحثيّةِ والمكتباتِ في شـوارعِ الثّقافـةِ التـي افتُتِحـتْ في معظمِ المـدنِ الكبيرةِ، لضمانِ وصولِها إلى القرّاءِ والمهتمّينَ في كلِّ العراق. واستخدامُ وسائلَ للتّرويجِ غيرِ تقليديّةٍ، بالتّنسيقِ مع شركاتٍ مختصّةٍ.

٨- وضعُ خطّةٍ تستهدفُ تنشيطَ الاشتراكاتِ السّـنويّةِ في المجلّةِ بالـدّولِ العربيّةِ وسـائرِ دولِ العالـمِ، من خلال العمـلِ على إعـادة التّرويجِ لـ (المورد) بالتّنسـيق مع وزارة الخارجيّة لتنشـيط دورِ سـفاراتها- التي تربو على المئة- وقنصليّاتها بدول العالم في هذا المجال من جهة، والانفتاحَ من جهةٍ أخرى عـلى الباحثينَ والأكاديميّـينَ والأدباءِ العراقيّـينَ (وحتّـى العرب) واسـتثمارَ علاقاتِهم مع الأوسـاطِ ذاتِ الصّلةِ بالـتّراثِ العربيّ في هذه الـدّول، للتّعريـفِ بالمجلّةِ بغيةَ تأمينِ اشـتراكاتٍ سنويّةٍ فيها. وستساعدُ خططُ تطويرِ المجلّة أعلاه، على نجاح هذا المسـعى، ممّا يساعدُ على مضاعفةِ النّسـخِ المطبوعةِ مـن كلّ عدد، وتأمـينِ الواردات اللّازمـةِ لتطويرِها محتوىً وتصميمـاً وإخراجاً، وزيـادةِ حجمها، فضلاً عن إمكانيةِ سـدادِ مبالغِ المكافآتِ لكُتّابِ المجلّةِ ومستكتبيها.

شكراً لكم على حضورِكم وإصغائِكم، ونَعِدُكم أن تظـلَّ هذه المجلّـةُ العريقةُ المـوردَ العذبَ لكلّ محبّـي تراثنا العربيّ في سـائرِ مَجالِيْـهِ، والرّكنَ الرّكينَ في حفظِه، والعنايةِ به، والكشفِ عمّا تزخرُ بـه آدابُه وفُنونُه وعلومُه من إشراقاتِ الأدبِ العالي وجواهرِ الفكرِ ومنابعِ التّنوير، وإتاحتها للأجيال، مُستأنفةً أدواراً رياديّةً نهضت بها نظيراتٌ لها في ماضي بلادنا وحاضرها.